اللباب

وهو المختار مما قرضهُ جميل صدقي الزهاوي

من الشعر في ادوار حياته

الاستاذ الزهاوي علَم خافق من اعلام الحرية — حرية الاعتقاد وحرية الفكر وحرية القول — في بلدان الشرق ، لم يخَفْ يوماً في سبيل رأيهِ لومة لائم ولا سجن مضطهد . يدلك على ذلك قولهُ من قصيدة في الدولة العثمانية يوم كانت لا تزال سيدة العراق وسورية وفلسطين فسجن بسببها

وما هي الاَّ دولة مستبدة ... تسوس بما يقضي هواها وتعمل
فترفع بالاعزاز من كان جاهلاً ... وتخفض بالاذلال من كان يعقل
فمن كان فيها اولاً فهو آخر ... ومن كان فيها آخراً فهو اول
ألا انما بغداد قد اصبحت بهم ... يهددها داء من الجهل معضل
وقد عبثت بالشعب اطماع ظالمٍ ... يحمّلهُ من جورهِ ما لا يحمَّل

كذلك قولهُ في تهنئة المقتطف بعيده الذهبي

واشجع الناس كل الناس في نظري ... ذاك الذي قلبهُ في الحق لا يجف
يبدي الحقيقة للاقوام عارية ... وان اهانوا وان سبوا وان قذفوا

وقوله :

ظنوا بان الشعر الفاظ لها ... اغلال اوزان وقيد قوافي

وقوله :

والشعر ليس بنظمهِ ذو قيمة ... انظنُّ شعراً كل ما هو ينظم

وقد اثبت فعلاً انهُ لا يرهب ان ينظم شعراً مطلقاً من قيد القافية فنظم قصيدتهُ الطويلة « بعد الف عام »

كذلك نراهُ نصيراً للمرأة في نهضتها ومن القائلين بالسفور حيث يقول

مزقي يا ابنة العراق الحجابا واسفري فالحياة تبغي انقلابا
ليس بالناهض المهذب شعب هو لم يجعل احترامك دابا

***

قد يختلف الكتاب والنقاد في نظرهم الى الزهاوي وشعره على ما اشار اليه في مقدمته حيث يقول « وقد كثر الغلط في مصر وسورية والعراق حولي فمن قائل انهُ لا فيلسوف ولا شاعر بل هو عالم يحكم العقل والمنطق فيما يكتبهُ او ينظمهُ وقائل انهُ شاعر لا فيلسوف وقائل انهُ فيلسوف لا شاعر ومحب يقول انهُ فيلسوف وعالم وشاعر معاً وحاقد يقسم باحرج الايمان انهُ لا عالم ولا فيلسوف ولا شاعر »

نقول قد يختلف الناس في هذا الامر ولكننا لا نظن اثنين يختلفان ان الاستاذ الزهاوي كان رائداً مقداماً من رواد حرية الفكر في الشرق سواء بما نظمهُ من القصائد او كتبهُ من الرسائل او القاهُ من الخطب او قام بهِ من الاعمال حتى في اشد ايام الاستبداد هولاً

ومع ذلك لا ندري سبباً يوجب هذا التقسيم بين الشاعر والعالم والفيلسوف. فقد كان علماء النفس القدماء يظنون ان عقل الانسان اشبه شيء بخزانة كبيرة فيها ادراج كل درج منها يحتوي على موهبة خاصة من مواهب الفكر. ولكن علماء النفس المحدثين اثبتوا بعد ما درسوا اصول الغيزيولوجيا واتصال الجهاز العصبي بالعقل والادراك والعواطف وما اليها ان الانسان كلهُ يكون ساعةً مفكراً يبني تفكيرهُ على اصول العلم وقواعد المنطق فاذا استفزّ شعورهُ مستفزٌّ ثار ثائرهُ وضرب بالعلم والمنطق عرض الحائط وهبَّ يذود عن كرامتهِ مثلاً او يدفع عن وطنهِ. كذلك الاديب تراهُ آناً يتأمل في اوضاع الاجتماع والغاز الحياة فتغلب عليهِ صفة المفكر المتأمل فاذا كتب او نظم جاءت كتابتهُ او منظوماتهُ اقرب الى تفكير الفيلسوف او الحكيم. واذا اثار الحبُّ كوامن الوجد في صدرهِ او ضرب الوطن على وتر الكرامة والعزة القومية او حرّك مشهد الكواكب معاني الاجلال والاحساس بالعظمة والجمال جاءت منظومتهُ وقد غلب فيها جانب الشعور والوصف على جانب الفكر والرأي. فيقول فريق انهُ في كتابتهِ او شعرهِ الذي من النوع الاول عالم او فيلسوف. ولكنهُ في الثاني شاعر شاعر. والحق انهُ شاعر في كلا الحالين ولو قال في كلا الحالين « انا ابن عقلي وحده » لان الشعر لم يوقف

يوماً على الشعر الوجداني او الوصفي بل هو في رأينا كل تأمل وكل شعور يثير صاحبهُ الى إلباسهِ ثوباً من الجمال نظماً كان هذا الثوب او موسيقى او تصويراً او حفراً

ولكننا لا نخفي ان شعر التأمل يغلب في «الباب» على شعر الوجدان والوصف وذلك لان نشأة الاستاذ الزهاوي انما كانت نشأة عالم حكيم وقد تناول في رسائله ومباحثهِ وقصائدهِ الفلسفة والعلوم والتاريخ والسياسة . وليس لدينا متسع في هذا الباب نجيء فيهِ على وصف المطالب الكثيرة التي تناولها قلمهُ في القصص والحوادث عبر ومواعظ وفي الوصف وبث الشكاة والحث على التقدم وتأييد المرأة آيات بينات

ثروة الحبشة

بلاد الحبشة الى الجنوب الشرقي من السودان المصري مساحتها نحو ٣٥٠٠٠٠ ميل مربع اي انها اوسع من فرنسا وايطاليا معاً ولكن عدد سكانها قليل لا يزيد على اثني عشر مليوناً ويقدرهُ بعض الباحثين بعشرة ملايين فقط وهي ممالك صغيرة ولذلك يلقب صاحبها امبراطوراً وفي لسانهم نفوس نفسي (نجاشي النجاشين) وتفصل البلاد عن البحر الآن مستعمرات دول الاستعمار الكبرى انكلترا وفرنسا وايطاليا . وواضح ان هذه المستعمرات حديثة لم يكن منها شيء في اوائل القرن الماضي . وفي البلاد جبال شاهقة يبلغ ارتفاع بعضها عن سطح البحر نحو ١٥٠٠٠ قدم وتجود واسعة في انحائها الشرقية والجنوبية تتخللها انهار كبيرة يجري بعضها جنوباً الى بلاد الصومال (١) وبعضها غرباً الى السودان المصري ومنها نهر اتباش ونهر الاتبرا والبحر الازرق بروافدهِ الكثيرة واهمها البحر الازرق احد فرعي النيل وعليهِ يتوقف الفيضان ومبدأهُ بحيرة صانا في الجانب الجنوبي الغربي من بلاد الحبشة . وهذه البحيرة كبيرة جداً مساحتها ١١٠٠ ميل مربع وعمقها في بعض جهاتها ٢٥٠ قدماً فهي اوسع من مديريتي القليوبية والمنوفية معاً

واقليم الحبشة حارٌّ رطب في السهول معتدل في النجود بارد جاف في الجبال فلما ترتفع درجة الحرارة في نجودها على ٨٠ درجة بميزان فارنهيت . تشر بروس ارصادهُ

(١) يقال ان كلة الصومال عربية محرفة واصلها الشمال لانها على شمال من يدخل البحر الاحمر كما ان اليمن عن يمينه

الجوية سنة ١٧٧٠ في كتابه المطبوع سنة ١٧٩٠ فكان أعلى درجات الحرارة ٩١ وذلك في ١٢ أبريل عند الظهر واخفضها ٣٢ وذلك في ١٤ يناير الساعة السادسة صباحاً واعلى درجات الحرارة في السنة كلها بين الستين والثمانين فاقليمها معتدل كاقليم سورية وهي مثل لبنان وسواحله يرتقي فيها الانسان في بضع ساعات من اقليم حار بكل مميزاته الى اقليم بارد بكل مميزاته

والسنة هناك ثلاثة فصول فصل الشتاء من اكتوبر الى فبراير وهو اشد الفصول برداً ويتبعهُ فصل حار جاف ثم فصل المطر من يونيو الى اكتوبر. ويشتد وقوع المطر في يوليو واغسطس وقد يدوم الى اواسط سبتمبر او اواخره والغالب انهُ لا يمرُّ شهر من غير ان يقع فيهِ مطر. اما فصل المطر الحقيقي فمن يونيو الى اواسط سبتمبر وعلى هذا المطر يتوقف فيضان النيل وفلاح مصر. فتكون بلاد الحبشة اعلق البلدان كلها بالقطر المصري فاذا استطاعت ان تحول جانباً من انهارها الى ري اراضيها فقد تضرُّ بالقطر المصري ضرراً كبيراً

فبلاد الحبشة ترتبط بالبلاد المصرية بروابط جغرافية وتاريخية وسياسية ولا بدَّ من بيان هذه الروابط على وجهٍ وافٍ ليقف عليها الخاص والعام

ويسرنا ان الدكتور عبد الحليم الياس نصير قد عني بوضع كتاب مسهب في هذا الموضوع وصف فيهِ جغرافية بلاد الحبشة الطبيعية والاقتصادية وعلاقاتها السياسية فجاء في اربعة اقسام يحتوي القسم الاول منها على النظام السياسي والاجتماعي السائد في بلاد الحبشة مثل نظام الحكم والكنيسة القبطية والرقيق الاسود. والقسم الثاني يشتمل على بحث زراعي مستفيض والثالث يتناول التجارة والصناعة وفي الرابع يعرض لعلاقة الحبشة بمصر بالدول الاوربية وجمعية الامم ويلي ذلك ملحق يحتوي على نص المراسلات السياسية التي دارت بين الحبشة والدول الاوربية المختلفة التي لها مصالح في بلادها او فيما يجاورها. فالكتاب لا يستغني عنهُ مشتغل بالسياسة المصرية لشدة ارتباط مصالحنا الحيوية بمصالح الحبشة. وما الضجة التي قامت حول سد بحيرة صانا في الخريف الماضي الا دليل على ذلك

وهو مكتوب باللغة الفرنسية ويقع في ٢٧٢ صفحة من القطع الكبير مزدانة بصور كثيرة وجيدا لو عني المؤلف بنقلهِ الى العربية ونشرهِ بين ابنائها

زلات الوالدين

الكتاب للاستاذ نيلكس توما استاذ الاخلاق في جامعة فرسايل بباريس وقد « المّ فيه بكل اساليب التربية في العائلة من قبل المهد اي من قبل تكوّن الجنين الى ان يصير الطفل رجلا ويتزوج وقد جاء فيه على وصف ما تترك الزلات التي يقترفها الآباء في تربية اولادهم من السيئات التي تلازم الحياة . وليس من الغرابة ان نقول ان معظم الاباء والامهات في هذه الديار يجهل جهلا مطبقاً واجبات الابوة والامومة» لذلك جاءت عناية الامير وديع شهاب بترجمته ونشره في وقت الحاجة اليه . وقد طبعهُ طبعة اولى سنة ١٩٢١ فنفدت نسخها . فاعاد طبعهُ في آخر السنة الماضية طبعاً متقناً ببيروت فجاء في ٢٢٦ صفحة من قطع المقتطف تحتوي على اجلّ الفوائد في تربية الاولاد وتهذيبهم ولا تكون مغالين اذا قلنا ان كلّ ارباب العائلات يجب ان يقتنوهُ وان لا يكتفوا باقتنائهِ بل تمنى ان يكبوا على مطالعتهِ وتطبيق احكامهِ فالملك تسقط ، على ما يقول المؤلف ، والعروش تتلُّ ولكن مملكة واحدة نشأت في القرن التاسع عشر ورسخت يوماً فيوماً هي مملكة « الولد ». فنهوض كلّ امة رهن العناية باطفالها فاذا شبّوا صحاح الاجسام مهذبي النفوس مثقفي العقول كان لها منهم في شبابهم ورجولتهم زعماء اقوياء يتقدمون صفوفها في معترك الحياة والصراع . والاّ اذا نشأوا ضعاف الاجسام منحطي الاخلاق اغبياء العقول فقد قضي عليها بالخذلان والتقهقر فما اكبر التبعة الملقاة على عواتق الآباء والامهات وما اشرفها

المدنية والحجاب

كتاب بليغ ينطوي على آراء مفكري الشرق والغرب في قضية المرأة وعلى معارضة مسهبة لكتاب « السفور والحجاب » الذي وضعتهُ الآنسة لطيفة زين الدين . وكان المؤلف يشك في نسبتهِ اليها فكرر لفظة « المنسوب » الى الآنسة ...حين ذكر الكتاب

ويتلخص رأيهُ في العبارة التالية المقتطفة من مقدمة الكتاب ومنها يتبين القارىء أسلوبهُ العربي البليغ في ايراد آرائهِ

«ان النقاب عند المسلمين امر عظيم الشأن نشأ عن ابتداء الشريعة ، واثبت قدمهُ الاختبار ، ولذلك تراهم اليوم مهتمين لقضيتهِ كل الاهتمام ، متمسكين بأهدابهِ جد الاعتصام ، وكيف يتم المسلمون للحجاب وداً ، او يغفرون لهُ شهداً وفي ايامهِ وضع العرب

لروائع الحضارة صوراً وبسطوا في وجوه السؤدد غرراً فلا عصبت يومئذ لشوكتهم سلمات ولا قُرعت لمزنهم صفاة بغير أن جهري بواجب حفظه، وأشادتي بذكر مناقبه لا يعنيان اني اقصد النحت من أثلة شعب لم يألفهُ ولا القول بان ديار الفضيلة عافية الرسوم عند من ابتذله فاني اعترف بحسن سجية سيدات غير محتجبات واتقى بادب مصونات غير منقبات، ولكن اعترافي بفضل المحصنات منهن والفاضلات لا يجعل المسلمين ولا سيما منهم من خبر الحالة الاجتماعية في الشرق والغرب يتراخون في خلع النقاب وهم غير اولياء امورهم، وتيار الشوائب على الابواب

وأيضاً قولهُ :

ولا يظنن احد اني خصم رقي المرأة فاني من أوائل الجاهرين بواجب تعلمها اصول تربية الاطفال وتدبير المنزل والتمريض والاقتصاد وغير ذلك من امور تستدعيها مصلحة البيت وطأ ينته فالى اولئك السيدات الفاضلات تحجبات كنَّ او سافرات اردد آيات الثناء والاعجاب سائلاً للوطن العزيز بفضل مساعيهنَّ ونهضة ابنائه الابرار ابعد العزة والفلاح

الهندسة المستوية

النهضة العلمية في العراق ماضية في سبيلها غير حافلة بما يقوم في وجهها من العقبات. ولا ريب في انها بالغة نصيبها من النجاح اذا ظلَّ الدأب والاقدام ديدن اربابها. نقول هذا وامامنا الجزء الثاني والثالث من هندسة وتوريث وممت المستوية نقلها الى العربية الاستاذان علي وجلال امين زريق مدرسي الرياضة في المدرسة الثانوية المركزية ببغداد ودار المعلمين العليا فيها. وقد قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب في السنة الثانية من الدراسة الثانوية. فنشكر للاستاذين عنايتهما بنقل كتب التدريس العلمية الى اللغة العربية ونشكر لحكومة العراق عنايتها بتشجيع المترجمين قولا وفعلا

الرجل الذي لا يعرفه أحد

تحليل عصري لشخصية السيد المسيح ومبادئه وتعاليمه وكيفية تطبيقها على احوال الناس ومعتقداتهم واعمالهم في هذا العصر بقلم الكاتب بروس برتون الاميركي. وقد نقله الى العربية بتصرف قليل الارشمندريت الطونيوس بشير صاحب مجلة «الخالدات» ومحررها وقد عني بطبعه ونشره يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر